من حقك .. أن تقول « لا »

بقلم : مصطفى أمين

من حقك غداً أن تقول ((لا)) !
ولن تودع في السجون والمعتقلات • ولن تطرد من عملك • • ولن تلفق لك التهم • ولن تنهال عليك الاكاذيب والأراجيف

فنحن الآن فى عصر العبور • عصر المنتصرين • وعقلية ٦ أكتوبر تؤمن بأن من حق هذا الشعب أن يستمتع بكل حرياته• وفي مقدمتها حرية كل واحد منا فى أن يقول ((لا)) ! أثبت العبور أن الشعب الحر أقوى وأصلب واشجع من الشعب المقيد بالاغلال • وميزة الذين انتصروا فى ٦ أكتوبر انهم حاربوا وظهورهم محمية بالحرية ، وبالشورى ، وبسيادة القانون • وكارثة الذين حاربوا فى ٥ يونيو ، انهم كانوا خائفين واجفين من الذين يقفون خلفهم يكتبون التقارير السرية ، ويكيدون المكائد ، ويلفقون التهم ! الخائفون لا يمكن أن ينتصروا • وهذه التجربة التى عاشها الشعب المصرى بعد ١٥ مايو تثبت لكل شعوب العالم أن تمتع هذا الشعب بحريته لا يقل اهمية عن بناء جيشه • أن فتح السجون والافراج عن الابرياء ، واغلاق المعتقلات واطلاق سراح الوف المعتقلين ، وعودة القضاة المفصولين واعادة العدالة الى عرشها • وسيادة القانون ، والامان الذى احس به الناس فى بيوتهم وفى رزقهم لا يقل اهمية عن الصواريخ الجديدة والطائرات الجديدة والدبابات الجديدة !

ولهذا فانا من الذين يرون أن تجربة الحرية والعدالة والديموقراطية فى بلادنا سوف تفيد شعوبا كثيرة فى منطقتنا ، وفى مناطق أخرى فى أنحاء العالم • وانا من الذين يؤمنون أن الحرية والارهاب مرضان معديان ، ينتقلان بين الشعوب بالعدوى • فقيام حكم ارهاب فى اى بلد ينتقل أوتوماتيكيا الى البلد المجاور ، مهما أقمنا من حجر صحى ، ومهما شيدنا من اسوار عالية تمنع عبور الارهاب • كذلك فانني أرى أن قيام الحريةوالعدالة والديموقراطية فى بلادنا سوف يؤثر فى أنظمة الحكم فى بلاد كثيرة فى العالم • فلقد نزلت شعوب كثيرة فى الامة العربية ، راضية او مكرهة ، عن حرياتها لكى تنتصر على اسرائيل • وكانت نتيجة هذه التضحية ان حدثت هزيمة ٥ يونيو التى كان منرأى أكبر خبراء العالم فى الاستراتيجية ان مصر تحتاج الى خمسين عاما على الاقل قبل ان تستطيع ان ترفع راسها من هذا الهوان ..

وجاء أنور السادات يبشر بنظرية بدت لبعض السذج انها نظرية جديدة ، وانها خاطرة غير محسوبة النتائج ، وهى اذا كنا تكسرنا بالقيود فاننا نستطيع أن ننتصر بالحرية • فبدأ يحطم السلاسل والاغلال من ايدى وأقدام هذا الشعب ، فاذا به ينطلق الى النصر ! ..

وكان يوجد بيننا مراكز قوى ترى غير راى أنور السادات ، فقد كان هؤلاء يؤمنون بأن مزيدا من البطش والارهاب وكتم الانفاس وخراب البيوت ومحاكم التفتيش والمعتقلات والسجون ، كفيلة بتحويل الهزيمة الى نصر • ومن رحمة الله بهذا البلد انه لم يأخذ بهذه النظرية المبقرية ، لان مزيدا من الارهاب كان سيؤدى الى مزيد من الهزيمة والدمار والعار ..

والذين درسوا معارك الاسلام قالوا لنا ان العبيد الذين حررهم الاسلام من العبودية ضربوا امثلة فى الشجاعة والاقدام والتضحية والفداء • وأنه كان فى صفوف خصوم المسلمين جيوش جرارة من العبيد الذين كانوا يفرون من المعارك ، ولا يستطيعون الصمود أمام المسلمين الاحرار •

وسوف يذهل الناس عندما يعرفون عدد الذين كانوا فى المعتقلات والسجون عندما حدثت الهزيمة • وكيف أغلقت جميع المعتقلات قبل معركة ٦ اكتوبر • وقد قال لى السيد ممدوح سالم نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية أن مصر لم تقبض على مصرى واحد او اجنبى واحد قبل المعركة بل أن مصر لم تقبض على يهودى مصرى واحد قبل المعركة او اثناءها أو بعدها • مع ان عددا من هؤلاء اليهود المصريين كان فى سن الجندية • ولم تشعر الدولة طوال هذه المدة انها فى حاجة الى اجراء استثنائى لتحمى ظهر الجيش المصرى الذى يحارب معركة الحياة .. ووقف الشعب كله يحمى هذا الجيش ، دون ان يخرج على اجماعه مصرى واحد !

ولا شك ان الحكم فى ظل الحرية اصعب كثيرا على الحكام من الحكم فى ظل الارهاب• فما اسهل أن يمسك الحكام الصغاربالسياط يلهبون بها ظهور الشعب ! وما أسهل ان نحبس المصريين جميعا فى بيوتهم فيختفى الزحام الكريه فى الشوارع ، ونحل ازمة المرور ! وما اسهل أن يعم الهدوء البلاد اذا قطعنا السنة الناس جميعا • ولكن من الصعب ان تحكم والناس أحرار ينتقدون الحاكم ، ويختلفون فى اى قرار يصدر • ولم يستطع الناس منذ الخليقة ان يتفقوا على كل شىء ، وليس من المعقول ان تفرض الآراء على الناس ((بالنبوت)) ! وهذه الاصوات المعارضة التى يعتبرها الطغاة الصغار ضوضاء يجب اخمادها ، هى فى رايى موسيقى يجب ان يستمتع الحاكم بسماعها • فهذه الضوضاء هى دليل الحياة .. وهى الفرق بين ضجيج شارع طلعت حرب وسكون مقابر الامام !

والذى يقرأ ورقة اكتوبر بعمق يجد ان من أبرز سطورها الايمان بحق هذا الشعب فى الحرية والديموقراطية والعدالة • وانه من غير الصحيح ان الحرية الاجتماعية تستوجب الاستعباد السياسى ! فليس من المعقول أن ادفع حريتى ثمنا لرغيف العيش! وغير معقول الا ترفع اعلام النصر الا فوق اعواد المشانق !

ان الانسان المصرى الجديد ، قادر ان يحقق انتصارات جديدة ، بحريات جديدة• قادر ان ينطلق الى الفجر الجديد بغير قيود ، وبغير أغلال وبغير أوصياء • قادر أن يبنى بلده وهو متحرر من الخوف والقلق والظلم والظلام !

لا يمكن قيام دولة قوية فى شعب ضعيف .. ولا يمكن ان تكون امة حرة وافراد هذه الامة يفتقدون حرية التعبير ، وحرية الاختيار ، وحرية السفر وحرية ان يقول للحاكم ((لا)) !

• • •

اذا كنت تريد أن تعيد المعتقلات ، وان تعيد الارهاب ، وأن تعطى القانون أجازة ، وأن تعود تتكلم همسا وأنت تتلفت حولك فى رعب ، وأن تعود المحاكم الاستثنائية ، وأن تجد نفسك فى السجن او المعتقل بغير جريمة ارتكبتها ، وأن توضع فى المعتقل ثلاث سنوات لانك شيعت جنازة ، او لان ابنتك رفضت أن تتزوج ابن احد الوزراء ، او ان تسجن ١٥ سنة لانك دفعت ١٥ قرشا مساعدة لزميل معتقل •

اذا كنت ترى ان السجون والمعتقلات هى الحصون والقلاع التى يجب أن تقام فى بلادك ، وان العدو الحقيقى هو فى داخل مصر لا فى خارجها • وأن المناصب لاصحاب الثقة لا لاصحاب الخبرة ...

اذا كنت تريد كل هذا فمن حقك ان تقول ((لا))

ولن يعاقبك احد • ولن يحاكمك احد • ولن يعتقلك أحد !